ملخّص زيارة الاربعين قراءة زهرائية بامتياز / عبد الحليم الغزّي

الحلقة ١ : المقدمة

الجمعة : ١٨/صفر/١٤٤٦هـ - الموافق ٢٣/٨/٢٠٢٤م

أبدأ من هُنا: هـٰذا العنوان "زيارةُ الأربعين"، يُطلَقُ حينَ يُطلَقُ علىٰ مجموعة مُفردات أُشيرُ إليها، إنّني أحدثكم بِحسَبِ الثَّقافة الزَّهرائيّة، لا علاقةَ لي بالثَّقافة السقيفيّة، ولا علاقةَ لي بالثَّقافة الطوسية، هـٰذه هي ثقافةُ دينِ العترة الطّاهرة علىٰ الأقلّ بِحسبِ ما أعتقد، ولابُدَّ أن تَتذكَّروا إذا كُنتُم تُريدونَ أن تُدركوا حقيقةَ زِيَارَة الأربعين، لابُدَّ أن تَتذكَّروا وصيَّةَ أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه لكُميل بنِ زياد: (**يَا كُمَيل، مَا من حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَىٰ مَعرِفَة**).

"زِيَارَةُ الأَربعين"، عُنوانٌ يُطلَقُ علىٰ مجموعة مُفردات:

أوّلاً: زِيَارَةُ الأربعين عبادةٌ لها مَناسكُها وطُقُوسُهَا، لكنَّ جَوهرها يَتجلّىٰ في شَرطِها الأكبر، وهـٰذا الشَّرطُ ليسَ خاصّاً بِزِيَارَة الأربَعين، إنَّما هُوَ شَرطُ الزيارة عُموماً، لكنَّ الحديثَ هُنا عن زِيَارَة الأربَعين في هـٰذه الحلقات.

جَوهُرها شَرطُها الأكبر : "أن يَزورَ الزَّائرُ الحُسَينَ وأن يكونَ عارفاً بِحَقِّه"، ويَا لَيتَنا نكونُ كذٰلك. هـٰذا لا يعني أنَّ الَّذي لا يكونُ عارفاً بحقِّ الحُسَينِ ويأتي زائراً لن يَنالَ أجراً أو ثواباً، الكلامُ ليسَ في دائرة الأجرِ والثَّواب، مائدةُ الحُسَينِ هي مائدةُ اللّه، وخَزائنُ العَطاء الحُسينيّ هي هي خزائنُ العطاء الإلهي.

في أدعية شهرِ رجب نُخاطبُهُ سُبحانهُ وتعالَى: (**يَا مَن يُعْطِي مَن سَأَلَه** - وهـٰذا واضح - **يَا مَن يُعْطِي مَن لَم يَسْأَلْهُ وَمَن لَم يَعرِفهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَة**)، هـٰذه خزائنُ العطاء الإلهي، هي هي خزائنُ العطاء الحُسيني، وهـٰذا عُنوانٌ لمُحمَّد وآل مُحمَّد..

هـٰذه الملايينُ الَّتي تتحرَّكُ باتِّجاه كربلاء قطعاً يُؤجرونَ ويُثابُونَ في الدُّنيا والآخرة بِحسَبِ نيّاتهم، بِحسَبِ مُستوىٰ عُقولهم، فإنَّ الثَّوابَ والعقابَ يومَ القيامة يُوزَنُ بِميزانِ عَقلِ كُلِّ إنسان، وكُلُّ إنسانٍ وكُلُّ مُحاسَبٍ بِحسَبِ عَقله، لكنَّ الحديثَ ليسَ عن الثَّواب والأجر، فما نَحنُ في سوقِ بِقالة، الَّذينَ يُريدونَ أن يَفتحوا حساباً مع الحُسَينِ بِحسَبِ مقاييس البَقَّالين هُم أحرار، الحُسَينُ تعامَلَ معنا من دُونِ حساب، لقد جعلَ الحِسابات مَفتوحةً، فلماذا نكونُ خَسيسينَ في التعامُلِ معَه؟!

الكلامُ في الزّائر الَّذي يَزورُ الحُسَينَ وهُوَ عارفٌ بِحقِّه، هـٰذا هُوَ الزَّائرُ الَّذي لهُ ميزةٌ، إذْ يقعُ تحتَ نَظرِ إمامِ زمانه، هـٰؤلاء الزُّوَّارُ الَّذينَ يفوزونَ بِلُطفٍ خاصٍّ من إمامِ زمانهم إنَّهُم الزُّوَّارُ الَّذينَ يَزُورونَ الحُسينَ وهُم عارفونَ بِحقِّه، قطعاً حينما تقولُ الأحاديثُ من أنَّنا نَزُورُ الحُسَينَ وعلينا أن نَكُونَ عارفينَ بِحقِّهِ بِحسبِنا لا بِحسَبِ الحُسَين، فَكُلُّ زَائرٍ إذا كانَ مُوفَّقاً وموصُوفاً بهـٰذا الوصف تكونُ معرفتهُ بحقِّ الحُسَينِ بِحسَبِه لا بِحسَبِ الحُسَينِ، بِحسَبِ الحُسَينِ هـٰذا أمرٌ مُستحيلٌ، هـٰذا أمرٌ لا يُمكنُ لعُقول الزَّائرينَ أن يقتربوا منه، ولا في ومضة ولا في ما هُوَ أقلُّ من ذٰلك، هـٰذا أمرٌ بابُهُ مسدُودٌ..

وإنَّما المعرفةُ للزَّائرِ العارفِ بِحقِّ الحُسَينِ تكونُ بِحسَبِه، وهـٰذا هُوَ ميزانُ التَّقييمِ في الدُّنيا والآخرة، فَكُلُّ كائنٍ يكونُ حسابُهُ بِحُدود عَقله، بِحُدود إدراكه، بِحُدود مضمونه، بِحُدود نيّته، ومن هُنا فإنَّ أهلَ الجِنانِ يُخلَّدونَ في الجِنانِ ليسَ بأعمالهم وإنَّما بِنيّاتهم، وكذٰلكَ أهلُ النِّيرَان يُخلَّدونَ في النِّيرَان ليسَ بأعمالهم وإنَّما بِنيّاتهم، لأنَّ الأعمالَ هي آثارُ النِّيّات.

كلمةٌ لإمامنا الجواد صلواتُ اللّه عليه تَجمَعُ كُلَّ هـٰذا، تُلخِّصُ حقيقةَ الدينِ بِكُلِّ ظواهره وبواطنه: (**القَصْدُ إِلَىٰ اللّه بِالقَلْب أَبْلَغُ من إِتْعَاب الجَوارِح بِالأَعْمَال**)، كلمةٌ واحدة جمعت حقيقة القُرآن وجمعت حقيقة الدينِ في طوايا هـٰذه الحروف القليلة..

"**مَن زَارَ الحُسَينَ عَارِفاً بِحَقِّه** "؛ هـٰذا الكلامُ ينطبقُ علىٰ زيارة الأربعين وعلىٰ غيرِها من الزيارات الأخرىٰ، علىٰ زيارة الحُسَينِ من القُربِ ومن البُعد، لأنَّ القَصْدَ هُوَ قَصدُ القُلُوب..

لا زِلتُ أتحدَّثُ عن دَلالة هـٰذا العنوان: "زيارةُ الأربعين"، عنوانٌ لمجموعة مُفردات:

المفردةُ الأولى: "عبادَةٌ"، مَرّ الحديثُ عنها بالإجمال.

ثانياً: عنوانُ "زيارَة الأربعين"، يُشيرُ إلى الجزء الثَّاني من المشروع العاشورائي.

العاشرُ من المُحرّم يُشيرُ ويُلخِّصُ مضمونَ الجزء الأوَّل من المشروع العاشورائي: (**شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً يَا حُسَيْن**).

العشرونَ من صفر الجُزء الثَّاني: (**شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا**)، المشيئةُ هي هي والمشروعُ هُوَ هُوَ مشروعُ اللّه.

هـٰذه الحلقةُ إنَّها براعةُ استهلالٍ وتلخيصٌ للعناوين المهمّة الَّتي سأتناولها في الحلقات القادمة إن شاء اللّهُ تعالىٰ..

- فَهُنَاكَ عاشوراءُ الحُسَين.

- وهُنا عاشوراءُ السجّاد والعقيلة والأُسارى.

المشروعُ العاشورائي بِحسَبِ خارطَة اللّه: (**شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلاً، وَشَاءَ اللَّهُ أَن يَرَاهُنَّ سَبَايَا يَا حُسَيْن**)، هـٰذه الخارطةُ الَّتي رَسَمَ الحُسَينُ مَشروعَهُ علىٰ أساسها..

ثالثاً: زِيَارَةُ الأربعين تُمثِّلُ واجهةً واضحةً جداً وواسعةً، واجهةً من واجهات الحاضنة الحُسينيّة المهدويّة، والَّتي بِحسَبِ ما تَعلَّمناهُ منهُم أنَّها سَتُفَعَّلُ في الزَّمن القريبِ من الظُّهور الشَّريف، إنَّها كلماتُ أمير المؤمنين وكلماتُ إمامنا السجَّاد وكلماتُ إمامنا الرضا صلواتُ اللّه عليهم وهُم يُخبِروننا؛ "عن أنَّ الجُموعَ ستتحرَّكُ من جميع الأفاق إلىٰ الحُسَين"، وهـٰذا إنَّما يتحقَّقُ بَعدَ زوالِ النِّظام المرواني في العراق، وقد زَالَ النِّظامُ المرواني اللَّعينُ في العراق وسارت الجُموعُ إلىٰ حُسَين، إلىٰ سائر التفاصيل الَّتي حدَّثتنا الرواياتُ الشَّريفةُ عنها.

فزيارَةُ الأربَعين أمامَ أعيُننا إنَّها واجهةٌ واسعةٌ ومُتَّسعةٌ من واجهات الحاضنة الحُسينيَّة المهدويَّة والَّتي ستكونُ مجالاً واسعاً لإحياء أمرِ إمامِ زماننا صلواتُ اللّه عليه، ولصناعة المُمهِّدينَ لهُ، هـٰذه الواجهةُ لم تنشأ من صناعة زعامات دينيّة، لو رجعَ الأمرُ إلىٰ الزَّعامات الدينيّة لَمَا فَسَحوا مجالاً لزيارة بهـٰذه المواصفات، ولم تَنشأ من صَناعة سياسيّة، ولم ولم، إنَّها صناعةٌ مهدويّةٌ واضحةٌ جداً، هـٰذه الصّناعةُ الجارفةُ المَعالمُ المهدويَّةُ واضحةٌ فيها، إنَّها واجهةٌ من واجهات الحاضنة الحُسينيّة المهدويَّة وتوفيقٌ عظيمٌ للنَّاس الَّذينَ يعيشونَ زمنَ تفعيل هـٰذه الواجهة، لقد فَعَّلَ الإمامُ هـٰذه الواجهةَ بشكلٍ قوي جداً..

ما تَقدَّم من بَيانٍ يكونُ مُبتَنياً علىٰ ثلاثة أمور:

الأمرُ الأوَّل: مَعرفةُ إمامِ زمانِنا صلواتُ الله وسلامهُ عليه، أُرشدُ الَّذينَ يبحثونَ ويُريدونَ أن يَعرفوا ما أقصدهُ من مَعرفة إمامِ زماننا أن يعودوا إلىٰ مجموعة حلقات؛ "اعرِف إمامَك"، هي من جُملة حلقات برنامج الخاتمة، مَعرفةُ إمامِ زماننا تعني معرفةَ العقيدة السَّليمة.

فديننا إمامُنا، وإمامُنا دينُنا، هـٰذا لا يعني أنَّ مَقامات الأئمَّة مَحصُورةٌ بِحُدود الد ين، إنَّما أتحدَّثُ عن ديننا نَحنُ، إذاً هُناكَ معرفةُ إمامِ زماننا هـٰذا الأمرُ الأوَّل.

الأمرُ الثَّاني: مَعرِفةُ حقِّ الحُسَينِ، والحديثُ هُنا عن حقِّ الحُسَينِ بِحسَبنا، فحقُّ الحُسَينِ بِحسَبِ الحُسَينِ لا يَعرِفهُ إلَّا اللّهُ وَمُحَمّدٌ وآلُ مُحَمّد، لكنَّني أتحدَّثُ هُنا بِحسَبِ مَنطقِ كلماتهم الشريفة والَّتي هي بِحُدود المُداراة، وبِحُدود المُداقَّة العَقليّة، فَكُلُّ واحد منَّا يَعرِفُ بِحسَبه.

الأمرُ الثَّالث: أن نكونَ في دائرة التمهيد للمشروع المهدويِّ الأعظَم، وهٰذا يأتي مُنسَجماً معَ قانُونِ الغَيبَةِ والظُّهور الَّذي مَضمُونهُ: (**يَومَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْراً** - وهٰذا هُو التَّمهيد.

هٰذا المضمونُ هُو هُو مأخُوذٌ من الآيَة الثَّامنة والخَمسين بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة الأنعام حيثُ جاء فيها: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّك** - في تأويلهم لقُرآنهم؛ إنَّهُ بَقيَّةُ اللّه صلواتُ اللّه عليه، فآياتُ ربِّكَ؛ "مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد"، بعضُ آيات رَبِّك؛ "بَقيَّةُ اللّه" - **لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُون**﴾، في مرحلَة الانتظارِ هٰذا هُوَ قانونُ الانتظار، قانونُ الغَيبَةِ والظُّهور، (**يَومَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْراً**).

هٰذه الأُمورُ الثلاثةُ هي الَّتي عليها مَدارُ النَّجاة ومَدارُ القَبُول والرَّفض..

زيارةُ الأربعين علامةٌ للمُؤمن حينما تتوفَّرُ هٰذه المعاني:

- مَعرِفةُ إمامِ زماننا.
- مَعرِفةُ حقِّ حُسيننا.
- أن نَكُونَ في دائرة التمهيد للمشروع المهدويِّ الأعظم.

هُنا حينما نزورُ زيارةَ الأربعين ستكونُ علامةً لإيماننا، وإلَّا فإنَّ زيارة الأربعين لن تكونَ علامةً لإيماننا عندَ إمامِ زماننا..

ومن هُنا فنحنُ بِحاجة مُلحَّة جِدَّاً لقراءة صحيحةٍ لزيارة الأربعين ولمعرفة مَضمون هٰذا العُنوان، ولأَجلِ هٰذا كانت هٰذه الحلقات لكنَّها بقراءة زهرائيّة..

ما المرادُ من القراءة حينما أقول: "زيارةُ الأربعين قراءةٌ زهرائيّةٌ بامتياز"، ما المرادُ منَ القراءة؟

القراءةُ لها معانٍ:

هُناكَ القراءةُ النَّصيَّة؛ إنَّها قراءة النُّصوص، مرَّةً تكونُ النُّصوصُ مَكتُوبةً فأنظرُ إليها وأقرؤها، هٰذه قراءةٌ نَصٍّ مَكتُوب، وتارةً أحفظُ النَّصَّ، فأُعيدُ قراءتهُ من حافظتي، هٰذه قراءةٌ أيضاً..

أنا لا أتحدَّثُ عن القراءة بهٰذا المعنى.

أقربُ لَكُم الفكرةَ بأمثلةٍ شائعة في الثقافة العامَّة:

هُناكَ قراءةٌ للفنجان، وهُناكَ قراءةٌ للكَفّ، وهُناكَ قراءةٌ للجَبين، وهُناكَ قراءةٌ لباطن القَدَم، وهُناكَ قراءةٌ لكُلِّ الجَسَد، وحتَّى القيافَةُ هي فنٌّ قراءة، أتحدَّثُ عن قيافَة الأبدان وليسَ عن قيافَة الآثار، وحتَّى قيافَةُ الآثار هي قراءةٌ في الآثار، والَّذينَ يقرأونَ لُغَة الجَسد وهي قراءةٌ أُخرى، هُناكَ قراءةٌ للغَة الجسد للحركَات والإشارات، وهُناكَ قراءةُ لُغة العيون، وقراءةُ الحظ، وقراءةُ الطَّالع، هٰذه القراءاتُ وغيرها كثيرٌ هٰذه قراءاتٌ ليست لنصوص، هٰذه القراءاتُ لرموزٍ تكوينيَّة، لرموزٍ حسيّة، لأشياء إمَّا أن يكونَ اللّهُ قدَ خلقَها أو أنَّ الإنسانَ قدَ أوجدَها.

لابُدَّ أنَ نَعرِفَ مَن أنَّ القراءة الأكمل هي القراءةُ الكَونيّة، فحينما أتحدَّثُ عن قراءة زَهرائيّة بامتياز لزيارة الأربعين إنَّني أتحدَّثُ بهٰذا المنظار؛ "إنَّها قراءةٌ كَونيَّةٌ"، القُرآنُ حَدَّثنا عن القراءة الكَونيّة، لكنَّ الواقعَ الشيعيَّ بَعيدٌ عن ثقافَة العترَة الطاهرة، إنَّهُ مُرتكسٌ في ثقافة السَّقيفَتَين سقيفة بني ساعدة وسَقيفة بني طوسي.

القراءةُ الَّتي أتحدَّثُ عنها؛ إنَّها إلْمَامٌ، الإلْمَامُ اطّلاعٌ واتِّساعٌ علْميّ، إلْمَامٌ بِمُفردات تُشكِّلُ فيما بَينَها مَنظُومةً فكريَّةً واحدة، (**فَهُناكَ إلْمَامٌ بهٰذه المفردات معَ إمعانِ نَظرِ العَقلِ والقَلبِ في كُلِّ التفاصيلِ المرتبطةِ بِتلكَ المَفردات**)، هٰذا هُوَ الَّذي قَصدتهُ منَ القراءة الزَّهرائيّة بامتياز لزيارة الأربعين.

سأمرُ مُتجولاً بينَ آيات الكتاب الكريم:

في سورة العَلَق؛ الآيَة الأولَى بعدَ البسملة من سورة العَلَق: ﴿**اقْرَأْ**﴾.

بِحسَبِ ما جاء في البُخاري والروايةُ عن عَائشة، (صحيح البخاري)، طبعةُ دار صادر/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ الأولى - ٢٠٠٤ ميلادي/ البخاري توفِّي سنة (٢٥٦) للهجرة، صفحة (٩١١)، كتابُ تفسير القُرآن من كُتُب صحيح البخاري وهُو الكتابُ الخامسُ والستُّون، رقم الحديث (٤٩٥٣)، موطن الحاجة: **حدَّثنا يَحيى بنُ بُكير** - إلى أن يقول البخاري: **وحَدَّثني سعيدُ بنُ مروان** - يذكُر السَّند - **أنَّ عُروةَ بنَ الزُبير أخبرَهُ؛ أنَّ عائشةَ زَوجَ النَّبيِّ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم** - وهٰذا حالُهم صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتر - **قَالَت: كانَ أوَّلُ ما بُدئ به رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عليه وسلّم** - صلاةٌ بتراء تعني ديناً أبتر - **الرُّؤيا الصَّادقةُ في النَّوم** - إلى أن تقول عائشة: **فجاءهُ المَلكُ فقالَ: اقرأ، فقالَ رَسُولُ اللّه: مَا أنا بِقَارئ** - هٰذا ما ذكرَهُ البُخاري وذكرتهُ صحاحٌ أُخرى كصحيح مسلم وغيره، فإنَّ المَلَكَ حينَ قالَ لرَسُول اللّه: اقْرَأ، قالَ رَسولُ اللّه: ما أنا بقارئ، كلامٌ سَقيمٌ، فهل أنَّ اللّهَ سُبحانهُ وتعالى يُمكنُ أن يَأمُرَ رَسُول اللّه بالقراءة وهوَ لَيسَ قادراً عليها؟! أو هل يُمكنُ أنَّ رَسُولَ اللّه قالَ هٰذا الكلامَ عناداً؟! لأنَّ الجوابَ لا ينسجمُ أدبيّاً وبلاغيّاً وعربيّاً معَ قولِ المَلَك: (اقْرَأ).

في أحاديثنا: (تفسير القُمّي)، طبعَةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت -لبنان/ صفحة (٧٦٠): **بِسنده، عَن عَبد اللّه بنِ كَيسَان، عَن إمَامنا الباقر صلواتُ اللّه عَلَيه: نَزلَ جبرائيلُ عَلَى مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآله** - هٰذه الصَّلاةُ الكاملةُ الحقيقيّة الَّتي تكشفُ عَن دينٍ كاملٍ حقيقي - **فَقَال: يَا مُحَمَّد، اقْرَأ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأ؟** - ما الَّذي سأقرؤهُ؟ تُلاحَظونَ الدقَّةَ في الكلمات.

في صحيح البخاري: (**مَا أنا بِقَارئ**)، ما معنى هٰذا الكلام؟ (ما أنا بِقارئ)، هل أنَّ النَّبي كانَ في مقام العناد معَ اللّه؟! أو أنَّهُ ينفي عن نَفسه صفة القارئ في الوقت الَّذي سُبحانَهُ وتعالى يقولُ لهُ اقْرَأ؟! فهل أنَّ الله يُكلِّفُ شخصاً ليسَ قارئاً بالقراءة؟! هل هٰذا الكلامُ منطقيّ؟! هٰذه أحاديثُ عائشةَ والبخاري، هٰذه أحاديثُ سقيفة بني ساعدة.

أمّا تفسير القُمّي: (**فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، اقْرَأ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأ؟**)، الحديثُ هُنا عن قراءة تَكوينيّة، فإنَّ جبرائيلَ لم يُقَد م للنَّبي نَصّاً مكتوباً حتَّى يقرأهُ، ولم يَكُن قد طُلبَ من النَّبي أن يحفظَ نَصَّاً كي يُعيدَ قراءة النَّص المحفوظ، إنَّها قراءةٌ تَكوينيَّةٌ..

القَراءةُ هُنا قراءةٌ تكوينيّةٌ وهي القراءةُ الأصل، إلى آخرِ ما جاءَ في آيات سورة العَلَق والَّتي ترتبطُ بهٰذا الموضوع.

في (بصائر الدرجات)، لشيخنا محمّد بنِ الحسن الصفَّار من أصحابِ إمامنا الحسن العسكريّ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، طبعةُ مؤسَّسة النُعمان / بيروت - لبنان/ الصفحة الحاديةِ والعشرين بعدَ المئتين، الحديثُ الخامس: **بِسنده** - بِسند الصفَّار - **عَن عَبد الرَّحمٰن بنِ الحَجَّاج قَال: قَالَ إمامُنا الصَّادقُ صَلواتُ اللّه**

عليه: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآله كَانَ يَقرأُ وَيكتُب، وَيَقرأُ مَا لَم يُكْتَب - "وَيَقرأُ مَا لَم يُكْتَب"؛ هـٰذه هيَ القراءةُ التكوينيَّة في وجهٍ من وجُوهها وإلَّا فَهُناكَ وجوهٌ أدق، لكنَّني أتحدَّثُ بحُدودِ الموضوع الَّذي بينَ يَدي..

﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾، هـٰذه باءُ الواسطة، قطعاً الخطابُ لي ولَكُم وليسَ لرَسُول اللّه، الخطابُ لرَسُول اللّه لفظاً، أمَّا لي ولَكُم معنىً ومضموناً، لأنَّ قاعدةَ نُزول القُرآنِ بِحسبِ ما بَيَّنَ لنا أئمَّتُنا صلواتُ اللّهِ وسلامهُ عليهم أجمعين: (مِن أنَّ القُرآنَ نَزلَ بإيَّاكِ أعني وَاسْمعي يَا جَارَة)، هـٰذه قِراءةٌ تكوينيَّةٌ، هـٰذه القراءةُ عبرَ الاسمِ الأعظمِ وعبرَ الأسماءِ الحُسنى.

"**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**"؛ الوسيلةُ هي اسمُ ربِّك، وأسماءُ اللّه كما في ثقافة العترة الطاهرة؛ "مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد"، إنَّهُم أولياؤهُ وعَبيدهُ وأسماؤهُ الحُسنى، الَّذينَ حدَّثنا عَنهُم إمامُ زماننا في دُعاءِ شهرِ رجب: "لا فَرقَ بَينَهُم وبَينَهُ سُبحانَهُ وتَعالىٰ إلَّا أنَّهُم عِبادُهُ وخَلْقُه"، ولِذا جعلَهم وَجْهَهُ الأعظَم، هـٰذا إجمالٌ لمرادي من ذكري للقراءة التكوينيّة.

في سورة الجُمُعة، الآيَة الثانية بعدَ البسملة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه**﴾، "**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه**"؛ إنَّها قراءةٌ نصيّة، فالنَّبيّ الأعظمُ يتلُو عليهِم نَصَّ القُرآن إنَّهُ نَصٌّ محفُوظٌ عندَ رَسُول اللّه وهُوَ لم يَكُن يَقرأُ الآيات من نَص مَكتوب - **وَيُزَكِّيهِمْ** - إنَّها عمليَّةٌ تَنقية وعمليّةٌ تَنظيف وتَطهير لهم - **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، هـٰذا التَّعليمُ هُو الَّذي يقودُهم، قطعاً بِحسبِهم، فَنحنُ نتحدَّثُ عن زمانِ رَسول اللّه إنَّها مرحلةَ التَّنزيل، فما كانَ يُناسبُ تلكَ المرحلة من علمِ الكتابِ والحِكْمَة، من هُنا تبدأُ مُقدماتُ القراءة الكَونيّة.

- فَهُناكَ قراءةٌ نَصيّةٌ لنصٍّ مَحفُوظ: "**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه**".

- وهُناكَ تَعليمٌ للكتابِ والحكمَة.

ومن خلالِ ذلكَ يُمنَحونَ الأسلوبَ الَّذي يستطيعونَ من خلاله إذا كانوا قادرينَ أن يقرؤوا القراءة الكَونيّة، وهي القراءة الَّتي تكون بعيدةً عن نصٍّ مكتُوبٍ أو عن نصٍّ محفُوظ، لكنَّ الَّذي يبدو أنَّ الصَّحابةَ في الأعمِّ الأغلبِ ما كانوا يفقهونَ شيئاً!!

في سورة الجمعة، السورةُ نفسها تَحدَّثت عن رجال الدين الحمير في الآية الخامسة بعد البسملة: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**﴾، فهـٰؤلاء عُلماءُ التَّوراة، الصَّحابةُ يُفترَضُ أن يكونوا عُلماء القُرآن، فَحينما يُصبِحونَ حميراً فإنَّ حالَة الاستحمار عندَهُم ستكونُ أقبحَ من حالة الاستحمارِ عندَ اليهود، وأدلُّ دليلٍ ما جاءَ في آخرِ آية من سورة الجُمعة نفسها: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا** - الصَّحابةُ - **تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا** - تركوا صلاة الجمعة وتركوا النَّبيَّ يبيِّنُ الحقائقَ لَهُم في مسجده - **وَتَرَكُوكَ قَائِماً**﴾، هـٰؤلاء هُم الَّذينَ يُريدونَ منَّا أن نأخُذَ الدينَ منهم، هـٰؤلاء هُم الَّذينَ يُرادُ منَّا أن نُقَدمَهُم على آلِ مُحمَّد!! أيَّةُ أمَّة هـٰذه؟!!

البخاريُّ في الطبعة نفسها، صفحة (٨٩٣)، رقم الحديث (٤٨٩٩)، يقول: **حَدَّثني حَفص بن عُمر** - إلى آخر السّند - **عَن جابر بنِ عَبد الله رضي اللهُ عَنهُما قَالَ: أقبَلت عِيرٌ يَومَ الجُمُعَة** - عيرٌ قافلة تجاريّة - **ونَحنُ مَعَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم** - صلاةٌ بَتراء تعني ديناً أبتر - **فَثارَ النَّاس** - الصَّحابةُ الَّذينَ كانوا في المسجد - **إلَّا اثنا عَشر رَجُلاً، فَأنزلَ اللَّهُ: "وَإذَا رَأوْا تجَارَةً أوْ لَهْواً انفَضُّوا إلَيْهَا"** - هـٰذا هُو حالُ الصَّحابَة، القُرآنُ واضحٌ وهـٰذا هُو البخاري هُو الَّذي يتحدَّث.

سورةَ الجمعة تحدَّثت عن أناسٍ عَلَّمهم رَسولُ اللّه، وهـٰؤلاء هُم الَّذينَ لم يرتدّوا من بَعده؛ "سلمان والمقداد وأبو ذر"، هـٰؤلاء هم؛ ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، هُناكَ من دُونهم ممَّن التحقَ بهِم من بَعد ذٰلك، ولكنَّ هـٰؤلاء كانوا سادةَ وَقتهم.

سائرُ الصَّحابة القُرآن يقول: ﴿**انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً**﴾.

وها هُو البخاريّ يحدِّثنا عن جابرٍ الأنصاري: (**فَثارَ النَّاس إلَّا اثنا عَشر رَجُلاً**)، ونَزلت الآيات.

هـٰذا هُو القُرآن وهـٰذا هُو البخاري فماذا تُنكرون؟! إنَّني أُخاطبُ الفريقين من أبناء السقيفتين، الحقائقُ واضحةٌ وجليَّةٌ جِدَّاً..

في سورة الزُّخرف، الآية الثالثة بعدَ البسملة والَّتي بعدَها: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** - فنحنُ نتحدَّثُ هُنا عن نصٍّ مكتوبٍ أو عن نَصٍّ مَحفُوظ، كلامٌ عربي، فهـٰذه قراءةٌ نصيّة - **لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون** - فهـٰذه القراءةُ تأثيرُها ليسَ مضمُوناً، لَعلَّ تُعطي معنى التوقُّع، يُمكن أن تُحقِّقوا الهدفَ ويُمكن أن لا تُحقِّقوا الهدف، أمَّا القراءةُ الكونيّةُ مضمونةٌ - **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم**﴾، هـٰذه القراءةُ الكونيّة..

في سورة فُصِّلت، الآية الثالثة والخمسين بعدَ البسملة: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا** - هـٰذه آياتُ التَّكوين وما هي بآيات التَّدوين الَّتي تُدوَّنُ على الورق والَّتي تُحفَظُ في الصُّدور - **فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** - إنَّما يَتبيَّنُ لَهُم من خلال القراءة الصحيحة، القراءةُ هُنا مَفسُوحةٌ للجميع؛ للكافرِ وللمُؤمن لكُلِّ المخلوقات..

في سورة الإسراء، الآية الثَّالثة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة والَّتي بعدها: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِه وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً** - هل هُوَ كتابٌ مكتوبٌ بالحبر؟! - **اقْرَأْ كِتَابَكَ** - هـٰذه قراءةٌ تكوينيّة فما هـٰذا الكتابُ بورقٍ رُسمت عليه الكتابةُ بحبرٍ ومِداد - **كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾، هـٰذه قراءةٌ تكوينيَّةٌ، وتُلاحظونَ أنَّ القراءة التكوينيّة أبلغُ وأعظمُ وأكثرُ تأثيراً، الكلامُ كُلُّهُ تكويني..

"**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**"؛ فأنتَ الَّذي تُحاكِمُ نَفسَكَ بنفسك، وأنتَ الَّذي تُحاسبُ نَفسَكَ بنفسك، وهـٰذه العمليَّةُ هي الأخرى تكوينيَّةٌ، فهـٰذا هو الَّذي قصدتهُ من القراءة التكوينية..

في الآية الثَّامنة والثَّلاثين بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة البقرة: ﴿**صِبْغَةَ اللّه** - "صِبغَةُ اللّه"؛ علامَةُ اللّه، سمةُ اللّه، مُرادُ اللّه - **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾، ماذا تقولُ العترةُ الطاهرةُ في تأويلِ قُرآنها؟

في (الكافي الشريف)، الجزء الأول للكُليني، المتوفَّى سنة (٣٢٨) للهجرة، طبعةُ دارِ الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة (٤٧٩)، الحديثُ الثَّالثُ والخمسون: **بِسنَده** - بِسند الكُليني - **عَن عَبد الرَّحمَن بنِ كَثير، عَن إمَامنا الصَّادق صلواتُ اللَّه وسَلامهُ عَلَيه في قَوله عَزَّ وَجَلَّ: "صِبْغَةَ اللّه وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّه صِبْغَة"، قَالَ: صَبَغَ الْمُؤمنينَ بِالوَلايَة في المِيْثَاق** - هـٰذه علامتهُم، وهـٰذا هُو مِزاجهُم، وهـٰذا هُو مَذاقُهُم، "صِبغَةُ اللّه"؛ إنَّها الذَّائقةُ الإلَهيَّة الَّتي أوجدَها في عِبادِه وأوليائه.

في لُغة العرب ما المراد من الصبغة؟!

الصبغةُ لونُ الثياب، الَّذي يُميِّزُ بينَ الثِّياب ألوانُها، هـٰذا هُوَ المائزُ الأوَّل، قد يكون المائزُ نوعَ القُماش، لكنَّ المائزَ الأوَّل هُوَ اللون، فصبغةُ الثوب لونُه.

وصبغةُ الطعام نكهتهُ، ولذا يُقالُ للإيدام الَّذي يتناولهُ الإنسان والَّذي يُعطي نكهةً لطعامه لخبزه ولغير الخُبز يُقالُ لهُ الصبغة، "صبغةُ الطعام"؛ إيدامُ الطعام.

في سورة المؤمنون، الآيةُ العشرون بعد البسملة: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِين**﴾، "وَصِبْغٍ"؛ وإيدامٍ لِّلآكِلين..

فَصبغةُ الآكلين؛ إيدامُهم ونكهةُ طعامهم.

وصِبغةُ الثِيابِ؛ ألوانُها.

وصبغةُ اللّه؛ وَلايَةُ عليٍّ وآل عليٍّ.
وزِينةُ تلكَ الصبغَة ؛ هِيَ أَمُّ الحَسَنِ والحُسَين، النَّبيّ الأعظمُ صلَّى اللّهُ عليه وآله هُوَ الَّذي يقول: (**لَو كَانَ الحُسْنُ هَيْئَة** - صُورةً، النَّبيّ يَتحدَّثُ حديثاً عميقاً، يتحدَّثُ عن جوهر الحُسن وأصله، النَّبيّ الأعظمُ يُشيرُ إلى هـٰذه الحقيقة: (**لَو كَانَ الحُسْنُ هَيْئَةً** - لَو كَانَ الحُسْنُ صُورةً - **لَكَانَت فَاطمَة**).
أعودُ إلى الكافي فيما قالهُ إمامُنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عَليه: **في قَوله عَزَّ وَجَلَّ: "صِبْغَةَ اللّه وَمَنْ أَحْسَنُ منَ اللّه صِبْغَة"، قَالَ: صَبَغَ الْمُؤمنينَ** - اللّهُ صبغَ المؤمنينَ - **بِالوَلايَة في الْمِيْثَاق** - فالوَلايةُ لَونُنا إذا كُنَّا أوفياءَ لميثاق اللّه، الوَلايةُ لَونُنا، والوَلايةُ نَكهَتُنا، والوَلايةُ حُسْنُنَا وجَمالُنا إن كانَ لنا مِن حُسْنٍ أو من جَمال، وإنَّني أتحدَّث عن حُسنٍ وجَمال عَقيدَتنا.
الجزء الثَّاني من (الكافي الشريف)، الطبعة نَفسها، الصفحة السابعة والثَّلاثين، هُناكَ بابٌ عنوانهُ: "بابٌ في أنَّ الصبغة هي الإسلام"، والإسلامُ في حقيقته في ثقافَة العترة: التَّسليمُ لوَلاية عليٍّ وآل عليّ، الحديثُ الثَّاني: **بِسَنده** - بِسنَد الكُليني - **عَن عَبد اللّه بنِ فَرْقَد، عَن حُمران، عَن إمَامنا الصَّادق صَلواتُ اللّه عَلَيه، في قَول اللّه عَزَّ وَجَلَّ: "صِبْغَةَ اللّه وَمَنْ أَحْسَنُ منَ اللّه صِبْغَةً"، قَالَ: الصِّبْغَةُ هِيَ الإِسْلام** - وهل الإسلامُ إلَّا وَلايةُ عليٍّ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾، إنَّما تَحقَّقَ هـٰذا المعنى بعدَ بيعة الغدير، فهـٰذا هُوَ الدينُ كُلُّهُ، وهـٰذا هُوَ المذاق الطاهر الطَّيب كُلُّهُ.
﴿**صِبْغَةَ اللّه** - جميلةٌ هـٰذه الكلمات - **صِبْغَةَ اللّه وَمَنْ أَحْسَنُ منَ اللّه صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**﴾، هـٰذه فِطرتهُ ودِينهُ وعقيدتهُ؛ وَلايَةُ عليٍّ وآل عليٍّ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم أجمعين.
أعتَقدُ أنَّ الأمر صار واضحاً جدَّاً من أنَّني حينَ أقول: "زِيَارَةُ الأربَعين قراءةٌ زهرائيَّةٌ بامتياز"، قطعاً هـٰذه القراءةُ لن يتحقَّقَ مضمونُها نَظرياً إلَّا عبرَ ما أُشيرَ إليه منَ الحقائق في زيارة الزَّهراء صلواتُ اللّه عليها، في (مفاتيح الجنان)، هـٰكذا نُخاطبُها: **وَأَنَّ مَن سَرَّكَ فَقَدَ سَرَّ رَسُولَ اللّه، وَمَن جَفَاكَ فَقَد جَفَا رَسُولَ اللّه، وَمَن آذَاكَ فَقَد آذَى رَسُولَ اللّه، وَمَن وَصَلَكَ فَقَد وَصَلَ رَسُولَ اللّه، وَمَن قَطَعَكَ فَقَد قَطَعَ رَسُولَ اللّه** -لماذا؟ - **لأَنَّكَ بَضْعَةٌ منْه وَرُوحُهُ الَّذي بَيْنَ جَنْبيه.**
وفقاً لهـٰذه المُقدمات فإنَّ النَّتيجةَ: **أَنِّي رَاضٍ عَمَّن رَضيتِ عَنْه، سَاخِطٌ عَلَىٰ مَنَ سَخطتِ عَلَيه، مُتَبَرِئٌ مِمَّن تَبَرَّأتَ مِنْه، مُوَالٍ لِمَن وَالَيتِ، مُعَادٍ لِمَن عَادَيتِ، مُبْغِضٌ لِمَن أَبْغَضْتِ، مُحبٌّ لِمَن أَحْبَبْتِ.**
وفقاً لهـٰذه الأجواء ووفقاً لهـٰذه المُعطَيات يتحقَّقُ المضمونُ فيما جاءَ في زياراتها الشريفة ونَحنُ نُخاطبُها: **فَإِنَّا نَسْأَلُكَ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكَ إِلَّا أَلْحَقْتَنَا بِتَصْدِيقنَا لَهُما** - لمن؟ لمُحمَّد وعَليٍّ صَلَّى اللّهُ عليهما وآلهما - **لنُبَشِّرَ أَنْفُسَنا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوَلايَتِك** - القراءةُ الزَّهرائيّة تعني أنَّنا ننطَلقُ من عقيدَة طاهرة، أنَّنا ننطَلقُ من أُسُس طاهرة، وهـٰذه الطهارةُ مضمونةٌ بضمانٍ زهرائيّ - **بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوَلايَتِكَ يَا زَهْرَاء** - هـٰذا هُوَ المُرادُ من القراءة الزَّهرائيّة لزيارة الأربعين، المُرادُ بخُصوص بيان مضمون هـٰذه العناوين..